**المحاضرة السابعة/ قسنطينة وازدهار الحركة الأدبية والثقافية:**

عدّت مدينة قسنطينة العاصمة السياسية الثانية للدولة الحفصية، بسبب موقعها الجغرافي الحصين، والاستراتيجي الممتاز، وبما تتمتع به من مكانة اقتصادية هامة، نزح إليها الناس من كل مكان، فاتسع بذلك العمران وازداد عدد السكان، وانتقل إليها التجار والطلاب والعلماء، من الحواضر المغربية والأندلسية المختلفة، مقيمين وزائرين.

ولعلّ ذلك يعود إلى النزعة العلمية التي كانت يتمتع بها أمراء المدينة من جهة، وإلى كونها كانت تخضع من حين لآخر لبعض البيوتات القسنطينية المشهورة بالعلم والفقه والأدب مثل أسرة "ابن باديس" وأسرة "ابن الفكون" وأسرة "المقراني" وأسرة "ابن قنفذ" وأسرة "ابن عبدون" وأسرة " سيدي عبد المومن"، كما يرجع السبب أيضا إلى الوعي الثقافي الذي كان يسود المجتمع القسنطيني العريق، من جهة ثانية، وإلى الموقع التي تحتله مدينة قسنطينة بين عاصمتين ثقافيتين هامتين: مدينة تونس من الشرق ومدينة بجاية من الغرب من جهة ثالثة وإلى الأندلسيين الذين حطوا رحالهم في هذه المدينة مصطحبين معهم مؤلفاتهم ومكتباتهم.

كان الطلاب والدارسون يلتفون حول كبار العلماء بمدينة قسنطينة في بداية الأمر ولا يكتفون بما يأخذونهم من شيوخ مدينتهم من علوم شتى، بل كانوا يلتقون بالعلماء الزائرين والعابرين بها، وينهلون من معارفهم، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الحواضر المغربية والمشرقية الكبرى سعيا وراء المعرفة والتحصيل، وأصبحت الرحلة في طلب العلم من التقاليد المحمودة عند أهل قسنطينة، فكانوا يسافرون من أجل البحث في عصر كانت فيه المواصلات صعبة وشاقة.

**أبرز علماء قسنطينة وآثارهم:**

اشتهرت مدينة قسنطينة بنخبة من رجال العلم والفقه والأدب رفعوا اسمها إلى مصاف الحواضر الثقافية المغربية الكبرى نذكر منهم ما يلي:

1- أبو علي حسن بن علي بن الفكون القسنطيني: (ت بعد سنة 602هـ) ظل هذا العالم محل عناية وتقدير من الباحثين والدارسين حتى القرن الحاضر، فقد توارث أفراد عائلته العلم عنه مدة تزيد عن سبعة قرون من الزمن، كان فقيها وأديبا غزير النظم والنثر، إنه أحد شيوخ العبدري البارزين.

له ديوان شعر، وقد اشتهر بمنظومته التي ضمنها رحلته المشهورة من قسنطينة إلى مراكش، ذكر فيها المدن التي مرّ بها، وهي مشهورة عند العلماء ببلاد المغرب، وتعتبر من در النظام وأنفسه. يعد من الأدباء والعراء الذين تستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم. جاء في قصيدته المطولة ما يلي:

**دع العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما إن مثلها بلد**

**بر وبحر وموج للعيون به مساح بان عنها الهم والنكد**

**2- أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني:**

امتاز هذا الشيخ بغزارة علمه وكثرة شروحه، فقد كان قاضيا ومحدثا بمدينة قسنطينة.

من شعره:

**إليك صلاح الدين خذها خريدة  من الخدر لم تبرزوجلت عن الدعس**

**ونظمتها في مدة السير عنكم  فأيامها ما بين مصر إلى القدس**

**3- أبو محمد عبد الله بن محمد بليغ الدين القسنطيني:** من أهل العلم والفكر بمدينة قسنطينة، اشتهر بالنحو والعروض والنظم له قصائد شعرية جيدة ذكرها الصفدي في طبقاته.

**4- أبو إسحاق إبراهيم بن وحاد الكومي القسنطيني:** (توفي في القرن 8هـ). شاعر مفوه وأديب بليغ من أهل قسنطينة عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ذكره ابن قنفذ بقوله " كان من فحول الشعراء وله في الأمراء الراشدين أمداح مدونة.

**5- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد شهاب الدين الخلوف:** (ت 899هـ) شاعر وأديب وناثر أصل عائلته من فاس ولد بمدينة قسنطينة سنة 829هـ ثم سافر به والده وهو صبي إلى مكة المكرمة فأقام بها معه مدة أربع سنوات، ثم تحول إلى بيت المقدس فسكنها، وحفظ القرآن بها ومختلف علوم ذلك العصر وفنونه وآدابه. ثم انتقل إلى القاهرة.

برع في النظم والنثر، عمل بديعية ميمية سماها مواهب البديع في علم البديع أولها:

**أمن هوى ثوى بابان والقلم  هلت براعة مزن الدمع كالصنم**